الاسباب متوفرة لخراب البلاد

الآن في طباع الكوربين عناصر قبيلة جدًّا واذا نجوا من نتائج السلطة الثقيلة التي اماتت همتهم اعادوا مجد اسلافهم وجروا في سبيل الارتقاء . وقد عرفت منهم اناسًا من الفضلاء الاجلاء وهم كرام دمثو الاخلاق محبون لوطنهم ولا بدَّ من ان يصير لهم شان كبير في نوادي الامم

مدافن بني حسن

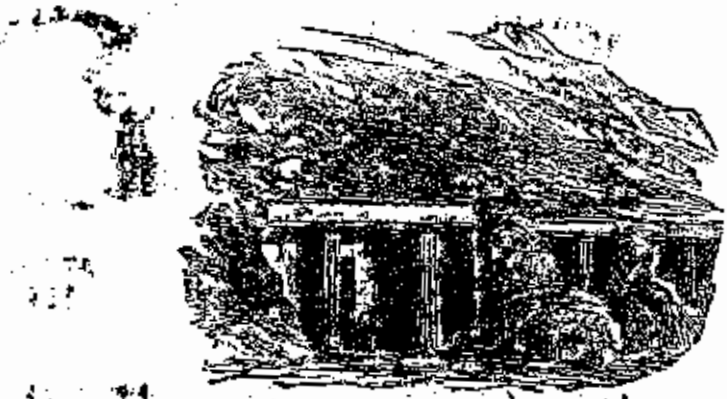

اذا ارتوى المرء من رؤية دار التحف المصرية واهرام الجيزة وصقارة وطيبة ودندرة وادفو ووَدَّ الصعود الى الوجه القبلي لمشاهدة ثاني الآثار المصرية التي تزيد عظمة واتقانًا بتقدمه جنوبًا فاول اثر بديع يصل اليه مدافن بني حسن وهي نحو خمسة عشر مدفنًا من عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية التي حكمت مصر قبل المسيح بنحو اثنين وخمس مئة سنة وهي في جبل شمالي قرية بني حسن على ٧١ ميلاً من القاهرة والمدافن على ميلين من القرية وكان الذين نحتوها كانوا يضنون بجاسادهم ان تدفن في وادي النيل قبلي فنحتوا لهم كانوا يحسبون النيل مقدسًا فلا يدفنون في ارضه جثة تنتن وتبلى فتدنسه . وان كنا في ريب من معتقدهم فلسنا في ريب من مقدرتهم ومهارتهم فانهم اختاروا اصلب طبقات ذلك الصخر المشرف على وادي النيل ونحتوا فيه غرفًا فسيحة ابقوا فيها عمدًا من صخرها ليستند سقفها عليه وابقوا امامها عمدًا اخرى كما ترى في هذا الشكل ليكون امام ابوابها كالشرفات

امام القصور ثم حفروا فيها آبارًا عميقة تنتهي بسراديب وغرف اخرى ووضعوا فيها اجساد موتاهم لكي تكون في حرز حريز

وقد زرنا هذه المدافن منذ سبع سنوات وشاهدنا ما فيها من غريب الصنعة وبديع النقش وكتبنا سطورًا لا بأس باعادة بعضها هنا قلنا

" وهنا لا اعلم كيف اشرع في الشرح او استرسل في الوصف أأطنب في مهارة الذين نحتوا هذه المدافن بل المنازل الفسيحة في صلد الصخر واحكموا وشمها ونقشها وزويقها . ام ابالغ في تدين المصريين القدماء الذين اعتبروا انفسهم اكثر مما اعتبروا اجسادهم وانشأوا لموتاهم منازل افضل من منازل الاحياء الفانية وروقاً واثبت منها على نوائب الزمان . ام اغالي في لوم الذين لم يستطيعوا حفظ هذه الآثار فاعتدوا عليها بانفسهم وخدشوا بهجتها ونقبوا جدرانها لكي يستخرجوا منها بعض الكتابات القديمة ويتجروا بها

والظاهر ان هذه القبور كانت لعائلة واحدة من العيال المصرية القديمة التي استولت على البلاد المجاورة في ايام الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية . والشمالي منها لرئيس هذه العائلة واسمهُ امني انفعات وهو غرفة فسيحة مربعة منحوتة في الصخر فيها اربعة اعمدة ارتفاع كلٍّ منها اكثر من خمسة امتار ومحيطهُ نحو ثلاثة وعليها شبه عضائد لحمل السقف وما هي الاَّ منهُ لكأنها صُنعت لتحاكي البيوت المقبرَّة بالحجر على عضائد من الخشب . والسقف بين هذه العضائد مقعَّر تقعيرًا انبويًّا ومغشًّى بالنقوش . ولكل عمود من الاعمدة ١٦ سطحًا متساوية ممتدة على طوله بعرض كل منها نحو شبر وهو مقعرٌ قليلاً ومدهون بدهان ابيض واحمر كالمرمر المجزَّع . وجدران الغرفة كلها مغطاة بالكتابات المصرية القديمة والنقوش وفيها سيرة حياة الفتى ورسم اعماله المختلفة . ويظهر منها انهُ كان من امراء مصر ورؤسائها كهنتها وانهُ أُرسل بدل ابيهِ في قيادة جيش الى بلاد الحبشة في ايام الملك اوسرتسن الاول ثاني ملوك الدولة الثانية عشرة فجدَّد تخوم مملكة مصر وعاد بالغنائم والهدايا وغزا غزوات اخرى كثيرة

ومما جاء في هذه الكتابات قولهُ عن نفسهِ . " لقد فعلتُ كل ما قلتُ وانني كريم رحيم محب لبلادي . مرَّت عليَّ السنون وانا متسلط على ماشٍ . ووهبت مديري الهياكل ثلاثة آلاف ثور وابقارها فارتفعت منزلتي في بلاط الملك ولم ينقني احد في الهدايا حتى اهديتها الى بلاطهِ . ولم احزن ولدًا في حياتي ولم اختلس مال الارملة ولم ازجر العامل ولم احبس الراعي ولم استخر احدًا من عمَّال رجل ليس عندهُ اكثر من خمسة عمَّال . ولم تقع البأساء

باحد في زماني ولم يجحف احد مدة ولايتي لانني كنت احرث كل ارض ولاية ماح ايام القحط الى تخومها الشمالية والجنوبية فاشبع الشعب كله ولا ابقي احدا جائعا . وكنت اعطي الارملة كما اعطي ذات الزوج ولم اميز بين الرفيع والوضيع في كل عطاياي ولما ولي الثقل واغنى الناس لم اكن ازيد القرائب عليهم "

وفي هذا المدفن وفي كل المدافن التالية صور طيور وحيوانات اهلية وبرية وانهار وقوارب وشباك والناس يعملون اعمالهم المختلفة كالحرث والزرع والصيد وتربية المواشي وقصاص المجرمين وغير ذلك مما يطول شرحه (ومن طرق القصاص الضرب بالسوط والقاء على ما كان جاريا في القطر المصري منذ بضع عشرة سنة) وهناك بئر عميقة من بعض الجوانب ينزل منها الى سرداب طويل مقفل بغرفة فسيحة فيها تابوس المتوفى والغرفة العليا لعبد يوضع فيه تمثال الميت ويجتمع فيه ذووه لاقامة الشعائر الدينية

ويعلو هذا القبر قبر خنوحتب والي ولاية ماح وكان معاصرا لاسمحات الملك الثالث من ملوك الدولة الثانية عشرة وهو ليس ابن امني المدفون في القبر الاول بل متصل به بالنسب من جهة ابيه . وفي الجدار الشمالي صورة سبعة وثلاثين شخصا من شعب شاي يسمى شعب عمو كما ترى على الصفحة التالية وامامهم صورة كاتب مصري يعد بين يدي سيده وقد كتب الكلام الآتي وهو " انه في السنة السادسة من ملك اوسرتسن الثاني اتى سبعة وثلاثون نفسا من شعب عمو بالكحل الى خنوحتب " . وبجانبه رجل مصري آخر يقدم هؤلاء الغرباء الى سيده خنوحتب وهو واقف وكلابه بجانبه . اما هؤلاء الغرباء فآتون بالهدايا من المعزى والغزلان . والرجال منهم شم الانوف سود اللحى وبلباسهم دليل على انهم غرباء لانهم المصريين كانوا يحلقون لحاهم وثياب الرجال والنساء ملفقة وموشاة بالوان كثيرة . وقد ظن البعض ان هذه الصورة تشير الى نزول بني اسرائيل الى مصر ولكن ذلك بعيد عن الصحة لان القبور انشئت قبل عهد بني اسرائيل بسنين كثيرة "

والناظر الى هذه الصورة يرى فيها امورا جديرة بالاعتبار منها كبر رسم الرئيس خنوحتب بالنسبة الى غيره فان قامته ثلاثة اضعاف قامة الكاتب الذي امامه وكل اعضائه على هذه النسبة وعند رجليه ثلاثة كلاب مختلفة شكلا وقدا وفي هذا دليل على ان المصريين القدماء نراه الآن في نوع الكلب كان شائعا ايضا منذ اربعة آلاف وخمس مئة سنة . والكاتب في الصف الاعلى امام الرئيس وبينه وبين الرئيس الصغيرة التي كتب فيها خبر الوفد وما جاء به من الهدايا ووراءه رجل مصري سائر امام الوفد ليقدمه الى مولاه ووراءه رئيس الوفد وقد

ارتدى برداء موشّى ومعهُ عنزة من المعز الجبلي وهو الايبكس العربي الذي يسميهِ العرب الرعل او التيتل . كان القدماء كانوا يغالون بهِ لشدّة نفورهِ وصعوبة صيدهِ فيهادون بهِ الملوك .

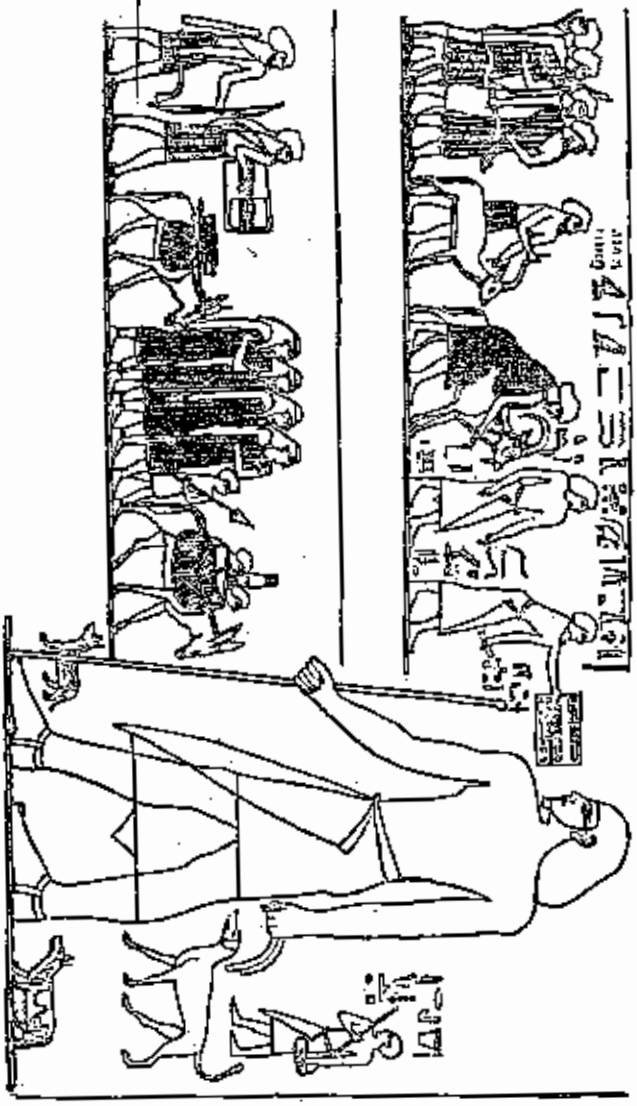

ووراءهُ رجل من اتباعهِ ومعهُ ظبي من الظبي السورية وهو ايضاً هدية فاخرة ووراءهُ اربعة رجال بقسيهم وحرابهم . وتحت هذا الصف صف آخر في اولهِ حمار عليهِ طفلان

يسوقهُ ولد ووراءهُ اربع نساء ووراءهن حمار على ظهرهِ مكاحل الكحل التي جاءت بها الوفد هدية ووراء الحمار رجل ينفر على القيثار ورجل آخر يدق البني محجن وبالبسرى قوس وعلى منكبيهِ كنانة

ويسمى الكحل باللغة المصرية القديمة مستم والفعل لكل سمنت والكحول سمني ولعل كلمة اثمد في العربية مشتقة من ذلك . وكان كحلهم من مسكوي اكسيد الانتيمون وهو الكحل الاسود المستعمل الآن) ومن كبريتيد الرصاص واكسيد النحاس واكسيد المنغنيس الاسود . والمكاحل كثيرة جداً في الآثار المصرية وهي من المرمر والزجاج والعاج والعظم والقصب والخشب وكان النساء يكحلن بهِ عيونهن ويزججن حواجبهن كما يفعلن الآن ولا حاجة تحت الشمس

ولما رأينا آنية الكحل تحمل الى هذا القطر حتى في العصور الغابرة قلنا طيبة وحياتهم لماذا هذا البعد الشاسع بين ابناء نوعنا وانت خالق الجميع ورب الجميع فمن عهد الفراعنة الاولين كانت عند كل بنت من بنات اسيا وشبيهتها وشبلها واذا وقعت لحظة تشتق الهواء تجرد وتضرب بالسياط كما في الرسوم التي على هذه المدافن . وزينب تجلس على الجسر والاستبرق ولا هم لها الا تكحيل عينيها وترجيج حاجبيها . وقد مرَّ خمسة آلاف عام وقلب الانسان على ما كان عليهِ هذا يتمنع وهذا يشق الف ليتنعم واحد . حكم جائر وقسمة ضيزى

وكان ما قسم للعظماء في الحياة الدنيا لم يكفهم فارادوا ان يمتازوا في الممات كما امتازوا في الحياة فشادوا هذه المدافن لتحفظ فيها اجسامهم واسماؤهم فبقيت وبقوا الوفا من الاعوام واذا وجدت جثثهم الآن حفظت في توابيت من البلور لكي لا يتطرق اليها البلى كما ترى في دار التحف المصرية

علوٌّ في الحياة وفي الممات لحقٌّ تلك احدى المعجزات

اما الصعاليك المستضعفون وهم الفريق الاكبر والعدد الجم فماتوا وزالوا كانهم لم يكونوا — ذلٌّ في الحياة وذلٌّ في الممات وحاشا لله ان يعامل النفوس كما تعامل الاجساد

هذا وقد اهتمَّ الاوربيون بمدافن بني حسن اهتماماً يذكر ليشكروا فضل كل ما فيها من النقوش والتزاويق وطبعوها طبقاً على رب الورق ونقرأوا الكتابات التي فيها وحلوا رموزها ولا يزالون يعثرون بشأنها ولولاهم لكانت الآن مغائر للهوش او مزارب للواشي ولزال كل ما فيها من رسم ونقش فلهم الفضل في حفظها ولو كان المال الذي ينفق على حراستها الآن من الحكومة المصرية كما لهم الفضل في كشف سائر الآثار المصرية وحفظها . وخيبة لمن جاورهم على الاهتمام بها